المُحاضرة الخامِسة عشر: الإيقاع الشّعري

-مفهوم الإيقاع:

1-1- لغة:

الإيقاع مصدر لكلمة ثلاثيَّة وهي "وقع"، و« الواو والقاف والعين أصل واحد يرجع إليه فروعُه يدل على سقوط شيء، يقال وقع الشيء وقوعا، فهو واقع، والواقعة القيامة، ومنه التوقيع، وهو أثر الدبر بظهر البعير، ومنه التوقيع، ما يلحق بالكتاب بعد الفراغ »[1]، فوقوع الشيء يعني حدوثه، فهو القيامة،والأثر الدبر بظهر البعير وآخر ما يلحق الكتاب. هذا عن مصدر الكلمة، كما جاء في اللِّسان فيما يخص جذر الكلمة وقع إيقاعا «من إيقاع الألحان والغناء، وهو يوقع الألحان ويبينها، وسمى الخليل ـرحمه اللهـ كتابًا من كتبه في ذلك المعنى: كتاب الإيقاع »[2].

ورغم أنَّ**"ابن منظور"** يذكر أنَّ**"للخليل بن أحمد الفراهيدي"** مؤسِّس علم العروض العربي بالاستناد إلى كتابه الموسوم بحسب ما وصلنا:**"الإيقاع في الموسيقى والألحان والغناء"**؛ إلاّ أنه لم يصلنا للأسف الشّديد.

وقد ورد الإيقاع بمعنى « اتِّفاق الأصوات وتوقيعها في الغناء»[3]، لأنَّ الصوت هو «الجرس معروف مذكر »[4]، فالإيقاع في اللُّغة مقترن بالموسيقى أيبحدوث الألحان والغناء، ويرتبط مفهومه أيضا بالجرس فهو « رنة تقع في الأذن عند سماع العبارة النثرية أو الشعرية »[5]، ما يجعل الجرس مرتبطًا بالفنون المختلفة نثرًا كانت أو شعرًا.

---

[1]- أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللُّغة، تح: عبد السّلام هارون، (د. ط)، دار الفكر، (د.ب) (د.ت)،ج6، ص642، وينظر أيضا: أبو القاسم جار الله فخر خوارزم الزَّمخشري، أساس البَّلاغة، شر وتح: محمّد، أحمد قاسم، (د. ط)، المكتبة العصريّة، بيروت2005م، ص686.

2- أبو الفضل عبد الرَّحمن ابن منظور، لسان العرب،ط3، دار صادر، بيروت- لبنان 2004م، مج 15، (مادة وقع)، ص 263.

[3] - جميل صليبا، المعجم الفلسفي، معجم سابِق، ص185.

[4] -أبو الفضل عبد الرَّحمن بن منظور، لسان العرب ، معجم سابِق، مادة صوت، ص302.

[5]- جبور عبد النُّور، المعجم الأدبي ، (د.ط)، دار العالم للملايين، بيروت (د.ت)، مادة جرس، ص83.

والإيقاع هو كلُّ ما يُساهمُ «في إحداث إحساس مستحب، بالإفادة من جرس الألفاظ، وتناغم العبارات،واستعمال الأسجاع وسواها من الوسائل الموسيقيّة الصائتة.»[6]، إلى جانب إسهامه في توقيع ما تستحسنه الأذن وتستحبه النّفس عن طريق جملة من الوسائل المتنوّعة ليتولد ذلك الإيقاع المتناغم المتجانس.

أمّا المصطلح الأجنبي المقابل لهفهو "Rhythm"، وهي كلمة يونانية جاء في معجم المصطلحات العربيَّة: « الكلمة مشتقة أصلا من اليونانية بمعنى الجريان أو التدفق، والمقصود به عامة هو التوتر المتتابع بين حالة الصوت والصَّمت، أو بين النُّور والظَّلام، أو الحركة والسُّكون، أو القوَّة والضُّعف، أو الضَّغْط واللِّين، أو القصر والطول، أو الإسراع والإبطاء، أو التوتر والاسترخاء...إلخ، فهو يمثل العلاقة بين الجزء والجزء الآخر، وبين الجزء وكل الأجزاء الأخرى للأثر الفني أو الأدبي. ويكون ذلك في قالب متحرك ومنتظم في الأسلوب الأدبي أو في الشَّكل الفنِّي؛ والإيقاع صفة مشتركة بين الفنون جميعا تبدو واضحة في الموسيقى والشعر والنثر الفني والرّقص، كما تبدو أيضا في كل الفنون المرئية، فهو إذن بمثابة القاعدة التي يقوم عليها أي عمل من أعمال الأدب والفن، ويستطيع الفنان أو الأديب أن يعتمد على الإيقاع باتباعه طريقه من ثلاث: التَّكرار أو التّعاقب أو الترابط»[7]، ومنه فإن الإيقاع في اللُّغات الأجنبيّة حالة الصَّوت وهو منتظم في المسافة والزّمن،وصفة مشتركة بين مختلف الفنون الأدبية والمرئيَّة.

1-2- اصطلاحا:

أسهمالتَّعريف اللُّغوي للإيقاع في جعله مصطلحًا موسيقيًّا ويعدُّ الإيقاع من المصطلحات التِّي لم تظفر بتعريف واحد بل نجد له تعريفات كثيرة وهذه التّعريفات تمنحه ميزة التّحول الّتي تبقى من أهم مميزات الإيقاع على الإطلاق، ويبقى مصطلح الإيقاع متعلقا بالموسيقى

---

[6]- المعجم نفسُه، مادة إيقاع، ص44.

[7]- مجدي وهبة- كمال المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللُّغة والأدب،مرجع سابِق، ص71.

وهذا ما نجده لدى النَّظريين العرب في مصادرهم القديمة وفيما يلي ملخص عن تعاريفهم لهذا المصطلح نورده في الجدول الآتي[8]:

المؤلف	التّعريف
إسحاق الموصلي القرن (8-9م)	الإيقاع حركات متساوية الأدوار لها عودات متوالية.
الكندي القرن (8-9م)	«...فأمّا تكميل الموسيقارية فهي موضع التأليف في قول عددي متناسب، نقي من الأعراض المفسدة للقول العددي، وبأزمان متساوية الأركان متشابهة النسَب التّي من عادة الناس أن يسموها إيقاعا».
الفارابي القرن (9-10م)	. وموضوعه يختص بنظم اللحن في طرائق ضابطة لأجزائه على أزمنة معينة تُقاس عليها الأصوات في مواضع الشدة واللين. . هو النقلة على النغم في أزمنة محدودة المقادير والنسب. . هو عبارة عن سلسلة أزمنة يوضحها النقر على آلة مجوفة كالطبل والدف وغيرهما.
ابن سينا القرن (10-11م)	. إنّ صناعة الموسيقى تشتمل على جزئين أحدهما يسمى التأليف وموضوعه النغمة وينظر في حال اتفاقها وتنافرها. والثّاني الإيقاع وموضُوعه الأزمنة المتخللة بين النغم والنقرات المنتقل بعضها إلى بعض، وينظر في حال وزنها وخروجها عن الوزن، والغاية منها جميعا صناعة اللحن. تقدير ما لزمان النقرات.
إخوان الصفا	. الإيقاعات وأصلها كلها حركات وسكون، كما أن الأشعار مركبة من المصاريع، والمصاريع مركبة من المفاعيل، والمفاعيل

[8]- الأسعد بن حميدة، الإيقاع في الموسيقى العربيّة،ط1، بيت الحكمة، تونس، 2014م، ص51، 52.

القرن (11-12م)	مركبة من الأسباب والأوتاد والفواصل، وأصلها كلها حروف متحركات وسواكن.
الحسن الكاتب القرن (10 م)	. الإيقاع هو قسمة زمان اللحن بنقرات، وهو النقلة على أصوات مترادفة في أزمنة تتوالى متساوية، وكل واحد منها يسمى دورا (...)، والإيقاعات هي أوزان أزمنة النّغم، والزمان إنما سمي زمانا لأنّ على نهايته نقرتين تحصرانه بينهما، وهما الدوي الحادث من القرع الذِّي يبقى زمانه من السمع.
نصر الدِّين الطُّوسِي القرن (13 م)	. علم الموسيقى يتألف من علمين: أحدهما العلم بالتأليف وهو نسب الأصوات الواقعة في النَّغم المختلفة في الثقل والحدة ـ لا في الجهارة والخفاتة على وجه تقبّله الطباع، والثاني: العلم بالإيقاع، وهو النِّظام الواقع بين أزمنة السكونات المتخللة بين النقرات والنغمات ومنه أوزان الشِّعر.
صفي الدِّين الأرموي (13 م)	. الإيقاع جماعة نقرات بينها أزمنة محدودة المقادير، لها أدوار متساويات الكمية، على أوضاع مخصوصة،ويدرك تساوي الأزمنة والأدوار بميزان الطبع السليم.
ابن خلدون القرن (14-15م)	. هذه الصِّناعة هي تلحين الأشعار الموزونة بتقطيع الأصوات على نسب منتظمة معروفة، يوقع كل صوت منها توقيعا عند قطعة فيكون نغمة، ثم تؤلف تلك النغم بعضها إلى بعض على نسب متعارفة فيلذّ لسماعها.
فتح الله المؤمن الشرواني القرن (15م)	. هو خلاصة ما ورد في مصنفات النّظريين العرب القدامى، مثل الفارابي وابن سينا وصفي الدين الأرموي.
عبد الحميد اللّاذقي القرن (16م)	. الإيقاع إظهار مناسبات أجزاء الزمان من القوة إلى الفعل بحسب اختيار الفاعل.
مؤلف الشجرة ذات الأكمام الحاوية	. واعلم أن الإيقاع جماعة نقرات بينها أزمنة محدودة المقادير لها أدوار متساوية الكمية على أوضاع مخصوصة، يدرك تساوي

لأصُول الأنغام القرن (17م)	أدوار تلك الأزمنة بميزان الطبع.

جدول رقم 1: يبيّنتعريف مصطلح " الإيقاع" لدى المنظِّرين العرب القدامى.

باستقرائنا للجدول نجد أنّ "الإيقاع" في التراث العربي القديم يكاد يكون تعريفا واحداوإنْ تنوّع في بعض معطياته واختلف «... في بعض الجزئيات والشروحات في ما يخص مفهوم الإيقاع، إلاّ أنّها تصب في نفس الرافد الدَّلالي، وتؤكد على بعض الخصائص والمبادئ التِّي يجب توفرها في الإيقاع الموسيقي، مثل الحركة المنتظمة والتعاقب الدوري...»[9]، فقد يمثِّل الإيقاع لدى العرب القدامى مصطلحا يختص بصناعة الألحان والجرس والنّغم فيقوم على مجموعة من الحركات تربط بينها ميزة التَّساوي والتعاقب.

[9]- الأسعد بن حميدة، الإيقاع في الموسيقى العربية، مرجع سابق، ص52.